الاعلامية داليا احمد:

الاعلام العربي يقحم الرأي بالخبر وعلينا التوجه للشباب

بيروت ـ «القدس العربي»
ـ من زهرة مرعي:

رغم كونها لم تعرف سوى لبنان مكاناً لاقامتها منذ كانت في عمر الثلاثة أشهر الا أن ظروفاً سياسية حالت دون استمرار عملها في قناة «نيو تي في». وبعد أشهر من العمل خلف الكاميرا وجدت داليا أحمد فرصة عمل أخرى في قناة الحرة حيث بقيت لفترة زمنية محدودة. عادت داليا أحمد الى بيروت والى قناة «نيو تي في» مع تبدل الظروف السياسية في لبنان، وجلبت معها بعضاً من الأفكار عن الديمقراطية الامريكية المزعومة. معها كان هذا الحوار:

■ تركت بيروت بعد رفض تجديد اجازة العمل والاقامة هل كانت عودتك نتيجة الأوضاع السياسية المستجدة هناك أم ثمة أسباب أخرى؟

■ **باستمرار كانت العودة تراودني ولم يكن لديّ أدنى شك بأنها سوف تتحقق يوما ما. عندما حدثت تحولات في السياسة اللبنانية كنت في واشنطن وكان من الصعب بالنسبة لي كوني من الذين تعرفوا الى هذا البلد منذ الطفولة ولهذا كان قرار العودة. الكثيرون مسرورون للتبدل السياسي الحاصل ولا أحد يترحم على الوضع السابق، لكن في قرارة نفسي أقول في الكثير من الأحيان «الله يستر من الآتي». المستقبل مبهم.**

■ عدم تجديد اقامتك هل هو مسألة شخصية؟

■ **اطلاقاً، أعيش في لبنان منذ كنت في عمر الثلاثة أشهر ولم يحصل أن اصطدمت بالأمن العام. انها مسألة مرتبطة بعلاقة ادارة نيو تي في بالأمن العام. في الحقيقة الواقع الذي اصطدمت به جعلني أشعر بأني ضيفة في لبنان لأول مرة. كان صعباً جداً بالنسبة لي كعربية أن يقول لي بلد عربي «الله معك».**

■ هل يمكن أن تصفي احساسك في ذلك الحين؟

■ **كان احساساً بشعاً للغاية ويمكن اختصاره بأنه مهانة وصدمة، ولأول مرة في حياتي أشعر بالكذبة الكبيرة التي يعيشها العرب وهي ما يطلق عليه القومية العربية.**

■ هل هذا يعني أنك تلتقين مع الشاعر محمود درويش في قصيدة جواز السفر؟

■ **أكيد، وخاصة عندما نعرف أن الانسان يحصل في الدول الغربية على جنسية البلد الذي يعيش فيه بخمس سنوات، وبالتالي يصبح مواطناً له كامل الحقوق. على سبيل المثال يتبنى كافة العرب لفظياً القضية الفلسطينية لكن المواطن الفلسطيني يعيش الأمرين للحصول على تأشيرة دخول الى بلد عربي من أجل حضور مؤتمر حتى وان كان يعالج تلك القضية. ويبدو أن المواطن العراقي بدأ يعيش القضية نفسها.**

■ عندما قررت الانضمام الى قناة الحرة هل كان القرار حراً أم كان بحثاً عن بلد يعطيك تأشيرة دخول؟

■ **لم أكن عاطلة عن العمل حين ذهبت الى الحرة. توقفت في «نيوتي في» عن الهواء لكني لم أصرف من العمل. لم تكن لديّ رغبة بمغادرة لبنان الى بلد عربي آخر. رغبت فعلاً بالعمل في قناة الحرة التي تؤمن بنقل الخبر من دون التدخل به ومن المؤكد أن كافة المحطات التلفزيونية لديها أهدافها.**

■ ما هي أهداف قناة الحرة برأيك؟

■ **ببساطة قناة الحرة تضع على عاتقها المساعدة في نشر الحرية والديمقراطية. ومن ثم اعطاء صورة حقيقية لكل ما يجري في العالم العربي والعالم بشكل عام. مهمة مذيع الأخبار أن ينقل صورة وأن ينقل الحدث كما هو. مشكلتنا في العالم العربي أننا اعتدنا الرأي من ضمن الخبر. كانت لدى الجميع صورة مسبقة بأن الحرة سوف تكون صورة للسياسة الأمريكية والاسرائيلية. شخصياً أتحدى أي انسان أن يقول بأن الحرة كانت تعطي رأيها من ضمن الخبر. على سبيل المثال نحن المحطة الأولى التي تحدثت عن التعذيب في سجن أبو غريب مع أننا محطة أمريكية. وحينها كنت على الهواء وقدم دونالد رامسفيلد اعتذاره للشعب العراقي. وحينها تساءلت على الهواء ان كان الاعتذار يكفي عن تلك الصور البشعة التي شاهدناها.**

■ بعد كل ما شاهدناه من السياسة الأمريكية في العراق ومؤخراً في رفضها نتائج الانتخابات الفلسطينية هل فعلاً لا تزالين تؤمنين بأن الأمريكيين يحملون مشروعاً للديمقراطية الى منطقتنا؟

■ **لست من اللواتي يؤمنّ بوجود ديمقراطية وحرية بالمطلق. من المؤكد هناك تجاوزات أمريكية في العراق، لكنها برأيي أرحم من حصول تجاوز من عراقي بحق عراقي آخر. لكن على ما يبدو الناس تنسى. ليس ممكناً النظر الى الأمور من منظار واحد.**

■ المسألة ليست في المنظار الواحد أو المنظارين، السؤال هو ان كانت الولايات المتحدة قد تمكنت من اعطاء صورة مقنعة لديمقراطيتها في المنطقة؟ أو في غيرها من الأماكن في العالم؟

■ **اذا لم تتمكن الولايات المتحدة من اعطاء صورة مقنعة لا أتصور أننا كعرب تمكنا من اعطاء صورة أفضل. أعطيت مثالاً عن الانتخابات الفلسطينية وهي حرة ونزيهة وهذا صحيح. بالنتيجة الولايات المتحدة لديها حلفاء لكن برأيي ليست الطريقة الفضلى لوجود حلفاء. بالنهاية لماذا بامكاني الطلب من الولايات المتحدة في حين أن القسم الأكبر من الجنود الأمريكيين موجودون في قواعد على الأراضي العربية.**

■ وجودك في الحرة لفترة من الزمن هو الذي حتم دفاعك عن الديمقراطية الأمريكية في العالم في حين أننا لم نر نموذجاً لها في الواقع؟

■ **انها ليست مسألة وجودي في الحرة بقدر ما هو احتكاكي بالشعب الأمريكي الذي له عدة أمزجة. بعضه يؤيد بشكل مطلق السياسة الأمريكية الحالية، وبعضه يتفهم بعمق القضية الفلسطينية، وبعضه الآخر يهتم بالموضوع العراقي أكثر من العرب أنفسهم. بقناعة كبيرة أقول أن التغيير نحو الأفضل مطلوب منا كعرب وليس من الغير.**

■ برنامجك الجديد «حدا يسمعنا» هل هو حصيلة تجربتك الأمريكية واللبنانية معا في الاعلام؟

■ **الحرة أعطتني الكثير خاصة وأنها قناة تملك كافة الامكانات المطلوبة ولديها أهم الكوادر العربية الاعلامية وكانت لي فرصة العمل معها والتعلم منها. من المؤكد أن عملي الحالي هو نتاج عملي في نيو تي في والحرة معاً. «حدا يسمعنا» برنامج شعبي بنظري. هو يحكي كثيراً عن أحلام وهموم الشباب. هذا البرنامج هو جزء مني.**

■ هل تحكمك محاذير معينة في طرح قضايا الشباب؟

■ **ليست لديّ أية خطوط حمر في طرح أية قضية تمس الشباب.**

■ بعد أربعة أشهر من انطلاق البرنامج هل ثمة حلقة معينة تركت أثرها في نفسك؟

■ **لكل الحلقات أثرها. الشباب هم العنصر الحيوي في كل الأوطان ومن الظلم أن يتم تجاهل أفكارهم وهواجسهم. نحن نجتهد لتقديم حلقة تمكن الضيوف من التعبير عن ذاتهم قدر الامكان. في النهاية نحن نستعرض مشكلات ونضع النقاط على الحروف، لكن من المستحيل طرح الحلول.**

■ وهنا هل يمكن القول أن التلفزيون له طابع التنفيس وليس الانطلاق نحو التغيير؟

■ **قد يكون ذلك انما بنسبة قليلة جداً. بالنسبة لي أتمنى أن تكون لدى أي من المسؤولين صحوة ضمير ليتم الاستماع الى شريحة الشباب لأنهم هم الغد. في حلقة المنظمات الشبابية تمنيت أن يكون المسؤولون كافة متابعين للحلقة ليروا بأم العين ما يرتكبونه من أخطاء بحق هذا الوطن حيث بات الانتماء للطائفة والزعيم والحزب وليس للوطن.**

■ هل للشباب العربي مساحة في هذا البرنامج كونه يبث فضائياً؟

■ **طبعاً وقد سبق وعالجنا قضية الشباب الفلسطيني في لبنان، وقضية العمال السوريين. كما عالجنا قضية الشرف. وقريباً جداً سوف ننطلق الى الدول العربية لتنفيذ حلقات في الخارج، وحلمي الكبير هو التمكن من بث حلقة من فلسطين لأن الاعلامي بتصوري يفترض أن يكون في كل الأماكن.**

■ وهل ستسمح لك اسرائيل بالدخول؟

■ **طبعاً لا، ولو كان لديّ جواز سفر يسهل لي الوصول الى فلسطين لما تأخرت.**

داليا احمد (القدس العربي)

قاعات عرض خالية وسط العاصمة الا من بعض الفقراء:

نجوم السينما «الأموات» يتجولون وسط عمان القديمة وعودة «للأبيض والأسود»

عمان ـ «القدس العربي»:

بعد تزايد عدد دور السينما الراقية جدا في العاصمة الأردنية عمان وتحديدا في مناطقها الغربية لجأت دور السينما الشعبية في وسط البلد لتسلية زبائنها «الفقراء» بعرض أفلام النجوم الأموات من أبطال السينما أيام زمان.

ولهؤلاء الأموات من النجوم أمثال فريد الأطرش ورشدي أباظة وفريد شوقي حظوظ مناسبة في أوساط متابعي السينما من فقراء عمان ومسحوقيها علما بأن الأمر لا يقتصر على الأموات العرب من النجوم بل ايضا على المتقاعدين من نجوم السينما الهندية أو أفلام الأكشن الغربية اضافة لأفلام الكاوبوي.

وزيارة واحدة صباح يوم الجمعة حصريا لمقرات دور السينما في وسط العاصمة عمان تتيح لصاحبها التمتع برؤية نجوم لم تعد السينما تذكرهم فهم بالنسبة لفقراء عمان والعاملين في دور السينما الشعبية فيها «أحياء يرزقون» عبر بوسترات ضخمة تزرع في جنبات وأزقة وسط البلد لأغراض الترويج والدعاية والاعلان.

وفي واجهة الزقاق الضيق المحاذي لأعرق وأقدم سينما قديمة في عمان سينما الخيام وقف العامل المصري عبد الباسط وهو يلصق في لوحة الاعلان صورة ضخمة للنجم الهندي الشهير راتشي كابور وهو يطلق النار على طائرة مروحية للأعداء فيما وضع ابنه صورة محاذية للملصق على أحد الأعمدة بغرض الشنق من قبل العصابة وبجانب الملصق الهندي وضع ملصقا آخر لفيلم كونكورد الشهير الذي يحكي قصة الطائرة السريعة وفي الجوار ايضا حيث توجد سينما فلسطين كانت الملصقات تشير لفيلم «يونيخ 21» الذي يحكي قصة احدى العمليات الفدائية الشهيرة في السبعينات في ألمانيا.

ويؤمن عبد الباسط ان الملصقات التي يضعها تجذب ثلاثة أنواع من الزبائن هم الباحثون عن التشويق على أصوله وكما كان ايام زمان والراغبون في رؤية بطولات خارقة والراغبون بالتسلية عبر مشاهدة أحد أفلام الدلع لنجمات مصريات كبيرات من طراز الراحلة سعاد حسني وزبيدة ثروت وميرفت أمين.

وفي رواق سينما غرناطة قرب منطقة سقف السيل اندفع احد العاملين لالصاق بوستر ضخم للنجم السينمائي الهندي الشهير اميتاب بتشان وهو يحتضن النجمة زينات أمان وبيده سلاح رشاش والثاني لأسطورة الكونغفو ـ بروسلي ـ الذي رحل عن السينما وعن الدنيا على الأغلب لصالح «جاكي شان» والبوستر الثالث للنجمة الراحلة سعاد حسني أيضا في فيلمها القديم «خلي بالك من زوزو» مع حسين فهمي.

ويؤمن معلن البوسترات واسمه شكيب ان احياء عظام هؤلاء النجوم الثلاثة يمكن ان يساعد في استقطاب زبائن جدد من الفقراء الذين يمكن لهم حضور أربعة أفلام بتذكرة واحدة على قاعدة العرض المتواصل وبسعر لا يتجاوز الدولار الواحد.

ويرى الرجل ان احدا في السينما الهندية لا يمكن ان يحل محل اميتاب بتشان وزينات امان مشيرا ان أفلام القتال الأصيل هي التي كانت على زمن بروسلي ملمحا لان اقتحام جاكي شان لعالم «أفلام الديجتال» أساء اليه وخلق مسافة بينه وبين بروسلي مشيرا ان الثاني يقاتل فعلا خلال الفيلم اما الأول فيرقص فقط اما سعاد حسني فهي سنيورة الشاشة التي لا غنى عنها مهما طال الزمن.

ومن الواضح ان هذه الدور الشعبية للسينما لا تهتم بكون سعاد حسني رحلت عن الفن والدنيا وبكون اميتاب بتشان تحول للسياسة وزينات أمان لا أحد يسمع عنها شيئا وكذلك بروسلي بطبعته القديمة.

ويقول هادي جابر احد موزعي الأفلام في الدور الشعبية ان التذكرة الواحدة في الدور الراقية غربي عمان الان تكلف نصف واردات العرض المتكامل في الدور الشعبية معترفا بان الكثير من دور السينما تبدأ حفلتها بوجود زبونين او ثلاثة في أيام الاسابيع الاعتيادية لكن التعويض يحصل في ايام العطل.

ومؤخرا وصل عدد دور السينما الراقية في عمان العاصمة لأكثر من عشرين دارا تعرض احدث الأفلام وأكثرها عصرية وبسعر لا يقل عن عشرة دولارات للتذكرة الواحدة في مطلق الأحوال، ويعبر صاحب صالون الحلاقة المحاذي لدار سينما فلسطين وسط المدينة محمد عادل عن أسفه لان عدد الذين «يحلق لهم» في اليوم الواحد قل كثيرا لان عدد الزبائن في سينما فلسطين المجاورة لم يعد يذكر مذكرا بان الحلاقة بعد مشاهدة فيلم سينمائي وتحديدا في سينما الحسين او فلسطين وسط عمان كان «تقليدا» متبعا أيام زمان وبأن الشرطة كانت تدخل في الماضي لتنظيم الجماهير المزدحمة على أبواب دور السينما. وتأثرت دور السينما الشعبية بشيوع الساتلايت وافتتاح الدور الراقية لكن مئات المصريين والعراقيين من العمال الوافدين يجدون في حضور سلسلة افلام قديمة بتذكرة واحدة عنصر التسلية الوحيد ربما المتاح أمامهم في عمان التي تعتبر الأن من أغلى العواصم العربية ارتفاعا في الأسعار.

وتقول احصائيات خاصة ان 42 % على الأقل من الأردنيين يمتلكون الأن في منازلهم طبقا لاقطا لكن ما يعرضه التلفزيون الرسمي الوحيد ما زال الأكثر مشاهدة بالنسبة لحوالي 60 % من المواطنين.

ورغم ان الفضائيات تعج بالأفلام القديمة والجديدة والانترنت هو الملاذ لمن يبحث عن الايحاء الجنسي والمشاهد الساخنة الا ان وسيلة التسويق المركزية في دور السينما الشعبية مثل بسمان ورغدان والحمراء والخيام وغيرها تتمثل في الاستعانة ببطل جماهيري من الذاكرة كعبد الحليم حافظ او جيمس بوند القديم وليس الجديد حيث تتجول ملصقات هؤلاء بكثافة الى جانب المارين في أسواق العاصمة الشعبية.

ومن وسائل التسويق ايضا العرض المستمر بدون توقف وبتذكرة واحدة حيث تعرض سبعة أفلام وراء بعضها البعض ابتداء من الساعة العاشرة صباحا وحتى العاشرة ليلا دون تدقيق ومقابل شراء تذكرة واحدة. ومن الوسائل أيضا الاستعانة بأفلام «لبنانية» وسورية مليئة بالايحاءات المغرية من أفلام زمان حيث تظهر لقطات حميمة لأبو عنتر وغوار الطوشة ونبيلة كرم وأحيانا هند رستم ونبيلة عبيد وحسن يوسف «قبل التدين» وزبيدة ثروت وغيرهم من نجوم «الأبيض والأسود».

واللجوء لأفلام الأموات طريق لبقاء الدور الشعبية على قيد الحياة خصوصا وان غالبيتها تخلصت من كادرها الوظيفي فمن يقطع التذاكر في هذه الدور هو من يشغل العرض ويجلس الزبائن وينظم المرور وبسبب غياب التزاحم تبقي الدور الشعبية أبوابها مفتوحة تماما فحضور عرض سينمائي لنجم راحل لا يغري الكثيرين في هذه الأيام.

يسرا: لا أقلد جنيفر لوبيز أو أي ممثلة أجنبية ولا أجسدها في «تيجي نرقص»

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمد عاطف:

نفت الفنانة يسرا ما يتردد انها تقلد الممثلة الامريكية جنيفر لوبيز في احدث افلامها التي تصورها حاليا مع المخرجة ايناس الدغيدي ـ تيجي نرقص ـ وهو ما ترفضه يسرا تماما.

تقول يسرا: لماذا اقلد الممثلة الامريكية جنيفر لوبيز مهما كانت، شاهدتها وانها ممثلة عالمية إلا انني لي شخصيتي ومكانتي وعالميتي في منطقتي العربية، ولست في حاجة لأقلد في هذا الوقت من عمري الفني. اضافت: المفاجأة التي اوجهها لمن يرددون انني أقلد جنيفر لوبيز في فيلمها ـ هيا نرقص ـ لا اقدم الدور الذي جسدته في هذا العمل، بل انني اجسد الدور الذي قدمه الممثل ريتشارد غير في الفيلم حيث عكسنا الوضع بفيلمنا الذي يقوم فيه الممثل تامر هجرس بالدور الذي جسدته جنيفر لوبيز بالفيلم الامريكي لانه يقوم بدور مدرب الرقص ولست أنا، وبالتالي لا وجه للمقارنة على الاطلاق، حيث اجسد دور المحامية ـ سلوى ـ المشغولة دائما في عملها الى ان تكتشف فجأة ان حياتها ضاعت منها فتعود الى الرقص الذي كانت تحبه.

عن حكايتها مع الرقص قالت يسرا: احب الرقص والغناء وسبق ان قدمت رقصة فرعونية في فيلم المهاجر اخراج يوسف شاهين، كما رقصت في فيلم ـ ألف بوسة وبوسة ـ مع نجوى فؤاد واخراج محمد عبدالعزيز، ولكن هذه المرة الاولى التي اقدم فيها الرقص المودرن والفالس والتانغو، وقد تدربت على رقصات عديدة على يد الفنان وليد عوني وصلت الى اربع ساعات يوميا حتى اتقن الرقصات.

اضافت: وحتى يكون التصوير قريبا من الواقع اقمنا ديكورا لمدرسة الرقص في الاستوديو، كما تدرب كل المشاركين في الفيلم على الرقص والحركات الايقاعية داخل دار الاوبرا، واخترنا مواقع جيدة جدا للتصوير الخارجي سواء في الشوارع او الاماكن العامة المختلفة.

هل نراك على الشاشة الصغيرة في رمضان القادم ـ تقول يسرا:

اقرأ حاليا سيناريو المسلسل التليفزيوني ـ موجة عبير ـ مأخوذة عن قصة بعنوان ـ مغامرات مصور صحافي ـ كتب لها السيناريو والحوار مصطفى ابراهيم ومرشح لاخراجه جمال عبدالحميد، وتدور احداثه حول طفل تم اختطافه من مصر وتقوم احدى الصحافيات بمرافقة زميلها المصور بالبحث وراء خيوط الجريمة بين مصر والاردن بحثا عن الطفل المخطوف.

واشارت الى انها كانت ترغب في الحصول على اجازة من الشاشة الصغيرة هذا العام لكن السيناريو فكرته اعجبتها، وماتزال تدرس النص جيدا.

حول ما يردده البعض انها تفضل العمل مع طاقم فني ثابت، نفت يسرا ذلك وقالت: لم افعل ذلك في اعمال عن قصد، فاذا تشابه تكرار واحد في اعمال فيكون لمتطلبات السيناريو فقط، والدليل انني في افلامي الاخيرة لم يتكرر احد معي فكل عمل له طاقمه الخاص، مثلا في ـ كلام في الحب ـ معي حنان ترك وهشام سليم وطلعت زكريا وادوارد وفي ـ عمارة يعقوبيان ـ عادل امام ونور الشريف وسمية الخشاب وهند صبري، وفي ـ دم الغزال ـ عزت ابو عوف وهالة صدقي وطلعت زين وتامر هجرس وراندا البحيري والمطربة ايمي.

عن المسرح قالت: اشعر بافتقاد المسرح منذ رحيل علاء ولي الدين، وحاليا معروض علي نص مسرحي تأليف احمد عوض واخراج خالد جلال ومرشح للبطولة امامي محمد هنيدي وأشرف عبدالباقي وهشام سليم وأحمد رزق.

يسرا

فضائيات

أسبوعٌ لأخبار السقوط في العالم العربي:

بغداد ورام الله والقاهرة.. تعددت الأسباب والسقوط واحد

هويدا طه*

■ أسبوعٌ ازدحم فيه الإعلام باحتفاليات وأنباء (السقوط) العربي، حتى أنك لا تستطيع ـ مهما حاولت ـ أن تخرج من أسر ذلك الشعور بما يمكن وصفه أنه (استمرارية التداعي).. كلما تابعت أخبار وبرامج شتى الوسائل الإعلامية، فإلى جانب ذلك الاحتفاء الإعلامي العجيب بذكرى سقوط بغداد ـ خاصة في القنوات الإخبارية ـ راحت تتوالى عروض أخرى للسقوط.. تتغلغل عبر التليفزيون في عقل المشاهد العربي البائس.. سواء من خلال نشرات أخبار متتابعة تنقل كل دقيقة خبرا عن سقوط ـ أو قرب سقوط عربي جديد ـ في مجال أو آخر.. أو من خلال برامج وثائقية أو حوارية لا تجد نصرا تحكي عنه ولا تلمس نجاحا تعرضه ولا ترى ملامح مستقبل تستشرفه فتلجأ إلى مادة عربية الهوية.. متاحة دوما وبغزارة.. «السقوط»، صديقة عراقية قالت غاضبة بعد أن أثقل عليها تكرار كلمة (سقوط بغداد) في تغطية خاصة قدمتها قناة الجزيرة طوال نهار الأحد لذكرى ذلك السقوط: «إيش فيكم.. سقوط بغداد سقوط بغداد.. حرام عليكم بغداد ما سقطت.. النظام سقط ربما.. لكن بغداد ما سقطت»، ألا تلفت ملاحظة تلك الشابة العراقية الانتباه إلى أن العرب.. خير أمة تحتفي بالسقوط؟! نشرات الأخبار بدورها لم تنقل في الأيام الماضية خبرا موجعا كما حملت إلينا خبر قرب سقوط لقمة الخبز من يد الفلسطيني المحاصر.. تحت ضغط ديمقراطية غربية بلا أخلاق.. وأنانية عربية بلا كرامة.. وأوهام حكومة تعيش واقعا افتراضيا.. يُعجن فيه خبز الأحياء بدماء الشهداء على أبواب جنات من أعناب وزيتون، فالأخبار المتتالية عن قرار أوروبي وأمريكي بوقف المساعدات للشعب الفلسطيني.. لا لشيء إلا عقابا لذلك الشعب على اختياره الديمقراطي لحكومة من حماس..(ورغم أن البعض لا يتمنى أبدا أن تحكم في مكان عربي ـ أيا كان ـ حكومة تطرح نفسها من منظور ديني باعتبارها وكيلة الله على الأرض والعباد.. ورغم أن التنافر مع طرحهم الذي يخلط حياتنا اليومية بحياة هلامية بعد الموت هو تنافر غير قابل للحل).. فإن موقف تلك الحكومات الأوروبية (الديمقراطية) غير الأخلاقي تجاه تلك الحكومة لتركيعها وتجاه الشعب الفلسطيني لتجويعه عمدا.. هو موقف يثير في النفس شيئا أشبه (بالقرف) من هذه الديمقراطية الغربية التي تتسم بالنذالة.. لكنك تدهش وعلى مدى ذلك الأسبوع الماضي لطريقة الإعلام العربي في معالجة هذا السقوط القريب للقمة الخبز ـ النادرة أصلاً ـ في يد الفلسطيني المحاصر، إذ يتم تناول الأمر من حيث كونه (خبرا) ليس إلا.. كخبر انقلاب قطار في بلد ما.. ربما ينتظرها الإعلام العربي حتى تسقط فعلا قبل أن يوليها اهتمامه، فأمام فوقية هؤلاء الديمقراطيين الغربيين في تعاملهم مع الفلسطيني أو العربي وكأنهم يقولون لنا.. «الديمقراطية أن تطيعونا لا أن تختارونا ما يحلو لكم»! لم تتبن قناة تليفزيونية واحدة (حملة) لمواجهة هذا الحصار المشين اللا أخلاقي، نحن إذن خير أمة تنتظر حتى تسقط.. ثم تحتفي بالسقوط نفسه!

على قناة «الصفوة» وفي برنامج على الهواء كان هناك لقاء مع اثنين من الملتحين المصريين من هؤلاء الذين يعطشون الجيم على غير عادة المصريين ولهجتهم.. ويتحدثون نيابة عن الله باعتبارهم الوكيل الشرعي الوحيد.. ويدخلون في معارك إعلامية تكفيرية تمنحك شعورا بأنك ومجتمعك مشرف لا محالة على السقوط إلى هاوية سحيقة.. فأحدهما تحدث عن (القتل) باعتباره يكون جائزا في سياق معين! بالطبع هو من يحدد هذا السياق لا غيره! فقد راح يمن على الناس بأنه لا يكفرهم عمّال على بطّال! شكرا على هذا الكرم! ما السقوط إذن إن لم يكن إرساء مبدأ (القتل على الفكرة) كما (القتل على الهوية).. بل هذا هو السقوط ذاته الذي نعيشه منذ زمن طويل.. ويوشك الآن أن يصل بنا إلى القاع، في مصر يتهيأ قانون الطوارئ للسقوط ، لكن بعد أن ضمن أن قانونا آخر مستنسخا منه أسمه قانون مكافحة الإرهاب سيرثه شرعيا، على قناة اليوم وفي برنامج القاهرة اليوم تعجبت صحافية من قول أحدهم إن مصر تواجه (مشكلة) أن جيلا بكامله من الضباط تربوا وهم لا يعرفون إلا التعامل بقانون الطوارئ وسوف يصعب عليهم التعامل بغيره! هذه هي (المشكلة) إذن! أليس سقوطا أن (يخشى) الناس الحرية؟!

ربما لا تجوز القسوة على وسائل الإعلام فهي على كل حال (لا تبتكر السقوط) وإنما فقط تعريه.. على قناة «العربية» كان هناك لقاء تليفزيوني مع حاكم (جاهل بالفطرة) أطلق تصريحات غير مسؤولة.. ليدفع ببلده المنهك إلى السقوط في دوامة أزمة دبلوماسية مع شعب.. يتهيأ بدوره هو الآخر للسقوط في شرك الحرب الأهلية! فمن الغبن حقا لشيعة العراق أن يتهموا اتهاما صريحا في لقاء تليفزيوني مع رئيس ـ شاء القدر أن يكون حجمه أقل كثيرا من حجم البلد الذي يحكمه ـ بأن ولاءهم ليس لبلدهم وإنما لطائفتهم، بلدهم هذا هو العراق.. العراق الذي يملأ أرجاء التاريخ بإنجاز حضاري لم يكن ليتم إلا لأن أبناءه يقطرون ولاء لأرضهم.. لكن هؤلاء الأبناء هم أيضا ورغم غضبهم المستحق من هذه التصريحات.. يندفعون اندفاعا أخرق نحو السقوط في شرك الاحتراب الداخلي الذي أعده لهم أعداؤهم.. لتجد نفسك حائرا أمام تلك الدائرة المريعة من أشكال وأنماط السقوط العربي.. من بغداد إلى رام الله إلى القاهرة.. تتعدد الأسباب لكن السقوط واحدٌ! تحار كيف يمكن الإفلات منه؟ إذ أن لكل داءٍ دواء يستطبُّ به.. إلا الحماقة.. أعيت من يداويها!

أدب السجون والراحل محمد الماغوط

■ لم تكن حلقة عادية من برنامج أدب السجون.. تلك التي سجلت مع الأديب السوري المناضل محمد الماغوط وعرضت على قناة «الجزيرة» بمناسبة رحيله منذ أيام، كانت ممتازة فنيا.. ورائعة في درجة اقترابها الإنساني من ذلك الأديب الكهل، فقد يكون عاديا أن تصادف شابا ثائرا، أما المدهش حقا.. فهو أن كهلا يتداعى بدنه أمام عينيك من فرط الشيخوخة ومع ذلك تجده.. فائرا بالثورة، كانت طريقة إخراج وتصوير ذلك اللقاء معه طريقة ممتازة محترفة.. دليل نجاحها أن قرابة الساعة وليس هناك إلا وجه وبدن ذلك العجوز على الشاشة ومع ذلك تجد نفسك مشدودا حتى اللحظة الأخيرة.. كان يبدأ جملة ثم.. يغفو! الكاميرا معه تنتظر.. حتى يعود بقولٍ مفعم بالثورة.. مرتديا بيجامته متكئا على أريكته محاطا ببضع لوحات وكتب.. كان محمد الماغوط يضحك ويقرأ فقرات من كتاب ويحكي ويغفو ويتقلب على الفراش ويروي ما يروي.. من لمحات صراع أديب وشاعر مناضل مشاكس مع سلطة جائرة جاهلة! قال لمحاورته التي لم تفسد هذا الجو المفعم بظهورها وإن سمعنا سؤالها أكثر من مرة: «قلت لهم ليست الحرية بل القمع.. هو الأم الرؤوم للشعر»! عاد ليغفو ثم أفاق ليقول: «مرة بالسجن جابوا راديو أو ميكروفون من شان الصلاة وما الصلاة بتعرفي.. تعرفي؟ أول غنيّة طلعت ع الراديو وهنه بيجربوه كانت (يا ظالم لك يوم)»! ضحك بفرحة.. قبل أن يحاول الاعتدال في جلسته.. ليقرأ فقرة من كتابه بقوة ربما لا تتناسب مع بدن يوشك أن يصبح باردا برودة الموت عما قريب، «أنا بكتابتي بحب دايما الشي إللي يلفت النظر.. بكره الشي العادي».. قالها وصمت كثيرا.. لا تعرف أين ذهب.. ثم عاد ليقول: «بحب الطويل والقصير اللص والشرطي القس والعاهرة»، يدخن بشراهة مستمتعا بدخان ترسله عدسة المصور إلينا لتثير شجنا لكن بدون شفقة على هذا الكهل.. الذي ضحك قائلا: «إي.. بحب اللبس كتير بكره الكرافات.. لما باكون لابس كرافة ما بافهم إيش عم بحكي ولا أفهم ما أسمع.. أنا مبسوط ببيجاماتي كده.. اليوم عندي اتنين جدد»! لا تعرف بالضبط إن كانت براءة الأطفال تعود مجددا في نهاية العمر! راح يحكي عن نضاله ضد جور السلطة الكريه وأثناء كلامه عرضت صور قديمة له بالأبيض والأسود.. يا إلهي.. هذا الشاب شديد الوسامة والجمال المفعم بالحيوية والنظرة الجريئة الجائعة للحياة هو ذلك الكهل الذي يغفو وسط كل جملة يحكيها؟!

كيف كنت سأراه لو صادفته في ذلك العمر؟! ربما كنت أعشقه! إذ لا يتكرر كثيرا رجل وسيم وثائر في آن واحد.. ما علينا.. صادفناه كهلا ويا إلهي كيف سنصير إذن.. إن عشنا! لكنك أبدا تظل مأخوذا بحيوية ما بقي ولم تستطع السنون أن تنال منه، ربما ما أثاره الرجل في النفس من خليط عجيب يشبه ذلك الذي قاله (لا أحب الشيء العادي).. هو ما يجعلك تخاف من الحياة وتحبها.. تصر على التمرد وتتحسب لعواقبه.. تخشى الموت وتصادقه، ما بتخاف من الموت؟ لا .. صديقي وعم بحبه! «أي مسؤول يقول عن قصيدتي أو مقالتي أو مسرحيتي إنها حلوة.. بعرف إن فيه إشي فيّ غلط، ليش طيب عم بيكرموك؟» يا لها من ضحكة تلك التي أطلقها وهو يجيب على سؤالها هذا، «ما بعرف.. يمكن بيحبوا يساهموا فيّ كأني مشروع.. مشروع قبر أنا».. يا له من وصف لحياة توشك على الانتهاء، ماذا تتمنى؟ سؤال طرحته محاورته غير الظاهرة في المشهد.. سؤال لاذع يبدو مؤلما لكهل ثائر يستعد لإنهاء مشروعه! لكن إجابته كانت الأكثر ثورة، الرجل بأكمله أثارني ربما لجرأة الثورة وحزنها عندما لا تملك معها صحة ولا قوة ولا وقت.. قال: «الحزن مثل الله موجود في كل مكان، إيش باتمنى؟ باتمنى ما يبقى على الأرض جائع ولا سجين» يسعل ثم يسعل ثم يعلق: «هادي سعلة سجن المزة»!، يقرأ من كتابه: «فليذهب القادة إلى الحروب.. فليذهب العشاق إلى الغابات.. فليذهب العلماء إلى المختبرات.. أما أنا فسأبحث عن كرسي عتيق.. طالما كل الكتب والدساتير والأديان تؤكد أنني لن أموت إلا.. جائعا أو سجينا».. رحل الماغوط إذن.. ليتركنا نبحث بدورنا عن.. كرسينا العتيق..

---

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات